العهد

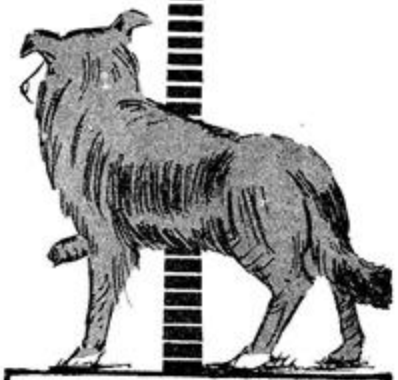

تأليف : مورلى كالاجهان

ترجمة : رمزى يسى

فى ذلك الصيف قدم لوك بلدوين الى منزل عمه هنرى لكى يعيش معه ، ولم يكن آنئذ قد تجاوز الثانية عشرة من عمره . وكان بيت عمه يطل على مجرى ماء صغير بالقرب من طاحون هوائى لقطع الاخشاب ، ولم ينس « لوك » انه وعد والده قبل موته انه سيحاول أن يتعلم من عمه أشياء كثيرة ، ولذا عكف على ملاحظته ومراقبة طريقة حياته وتصرفه بكل دقة .

وكان العم هنرى الذى يدير هذا الطاحونة ضخم الجسم ، يزيد وزنه على مائتين وثلاثين رطلا ، ذو بشرة سميكة ووجه داكن ضارب الى الحمرة، تبدو عليه مظاهر القوة وان كانت صحته ليست على ما يرام ، فقد كان يشعر بآلام فى عنقه وظهره حيرت الأطباء . وكان أول شىء عرفه لوك عن العم هنرى انه موضع احترام الجميع، وكان الرجال الأربعة الذين يستخدمهم فى أعماله بالطاحون يمتازون بأخلاق حميدة ويصدعون لأوامره وارشاداته. أما زوجته العمة هيلين ، فقد كانت سيدة صريحة عادلة فى معاملة لوك ، ولم يحدث أن لجأت مرة واحدة الى الثرثرة معه أو مناقشته مناقشة جافة .. كانت تنصحه دائما بأن يحذو حذو عمه ويتشبه به ، فنقول له فى كثير من الأحيان : انه رجل عملى الى أقصى حد ، يعنى بكل شىء بطريقة واقعية بسيطة .

وكان لوك يسير وراء عمه فى تجواله حول الطاحون لا لرغبته فى التمتع برائحة الخشب الحديث القطع

وحسب ، بل كان يحب أيضا أن يستمع الى لهجة عمه الموجزة الحاسمة مع عمال الطاحون ، والى نصائحه التى يسديها اليه بين الحين والحين ، كأن يقول له وهو يمسك بقطعة من الخشب: « حاول دائما يابنى أن تعرف الحقائق الضرورية عن كل شىء وبذلك تستطيع فى يسر أن تميز بين الصالح منها وغير الصالح فلا يستطيع أحد أن يخدعك » ويعزز رأيه هذا بأنه يعرف النافع من بقايا الخشب وغير النافع ، وهو أمر لا يتقنه الا القليل من الناس . وانه وحده الذى يعرف الأغراض التى تستخدم فيها كل قطعة من الخشب مهما كانت صغيرة . ولقد ادرك العم هنرى أن لوك محتاج الى دراجة يذهب بها الى المدرسة ولذا اشترى له واحدة متينة ، كما اشترى له ملابس قوية الاحتمال . وكان يعرف ماتحتاجه العمة هيلين من مال لادارة شئون المنزل ، واثمان كل شىء من مطالب الحياة اليومية ، حتى أجرة غسل الملابس . ويحمل فى سترته دائما كراسة سوداء يسجل فيها كل مساء جميع ما يصرف فى المنزل أثناء النهار.

قطع لوك على نفسه عهدا أن يكون على غرار عمه حين يكبر ، موضع تقدير الناس واحترامهم نتيجة لحسن تدبيره وتقديره للأمور ، ولكنه لم يستطع بطبيعة الحال أن يظل دائما ملتصقا بعمه هنرى ليراقبه عن كثب ، فكثيرا ما كانت ذكرياته الأولى عن والده تصرفه عن ذلك ، ويلوذ بالوحدة والعزلة ويحيا حياة أخرى باطنة ، حياة خاصة به تدور حول كلبه « دان » ... وهو كلب صيد عجوز أعور ، برجله اليسرى الخلفية عرج خفيف ، وقد تقدمت به السن فأصبح بطىء الحركة كسولا ، ولكنه كان ودودا الى أبعد حد ، وعينه الوحيدة فى لون الكهرمان ، وكذلك كان لون شعره . وهو يتبع « لوك » كلما ذهب الى المدرسة صباح كل يوم مسافة نصف ميل أو نحو ذلك . واذا ما عاد لوك من المدرسة وجد صديقه العجوز فى انتظاره عند باب المنزل .

كانا يلعبان أحيانا حول بركة الطاحون أو ينحدران الى أدنى المجرى حتى يصلا الى البحيرة . وكان هناك زورق قديم يركبانه معا ليمثلا دور القرصان فيصيح لوك بأعلى صوته حين يصدر تعليماته الى الكابتن «دان» فكان الكلب يبصبص بذيله فى حماسة كأنه فهم كل شىء ... ويكاد يبدو هذا فى عينه الكهرمانية التى تشع ذكاء ويقظة . ثم يوغلان فى حرج من الأحراج على الجانب الآخر من المجرى ليمثلا دور صيادى الوحوش اذ لم يعد العم هنرى يستخدم « دان » فى صيد الأرانب البرية أو غيرها بعد أن أدركته الشيخوخة . فاذا ما خرجا من الغابة رقدا سويا على الشاطىء الرطب المعشوشب يتبادلان المزاح . وكان لوك يتحدث اليه فى لهجة جادة أحيانا ويخيل اليه ان الكلب يهش له بعينه التى تعبر عن الطيبة والود ، ويقص على «دان» أشياء كثيرة لا يستطيع ان يحكيها لعمه أو زوجة عمه ... لم يكن ما يقوله شيئا ذا بال ، بل حديثا عاديا ربما كان يقوله لوالده أو والدته

لو كانا على قيد الحياة . فاذا ما حان وقت العشاء عادا الى المنزل ليخرجا ثانية بعد الأكل الى منزل مستر « كمب » العجوز ليصحباه اثناء نزهته مع بقراته الأربع فيسر لرؤيتهما وهما يدوران حول بقراته كانهما يرعيان قطيعا كبيرا على سفوح جبال (روكى)

لم يعد العم هنرى يعير الكلب اهتماما قط ، بل قال مرة وهو يجلس فى شرفة المنزل : « ياله من عجوز مسكين .. ، لقد أصبح كما مهملا لا فائدة منه على الاطلاق ... انه يأكل وينام ويتسكع فى الطرقات وحسب »

وفى يوم من أيام الأحد ، اثناء عطلة « لوك » الصيفية خرجوا جميعا الى الشرفه وكان « دان » نائما هناك ، فجلس « لوك » على السلم متكئا على عمود الشرفة ، وجلس العم هنرى فى مقعده الهزاز . اما العمة هيلين فقد تمددت فى أرجوحتها وأخذت تغنى فى رضاء وحبور . وعندما وقع نظر « لوك » على الكلب ضرب الأرض بكفه ثلاث ضربات اشارة للكلب الذى رفع راسه على الفور ثم نهض متثاقلا وهو يبصبص بذيله كانه عرف كلمة السر ، واخذ يعبر الشرفة متجها الى لوك ، وكانت عينه العوراء ناحية المقعد الهزاز وهو يسير شبه نائم ، فداس الكرسى الهزاز قدمه اليسرى العرجاء ، وعوى المسكين عواء الألم ، واسرع الى أحد اركان البناء وهو يتلوى ، ثم توقف عن السير حين سمع وقع اقدام « لوك » فى اثره ، ولم يكد يربت راسه مواسيا حتى أخذ المسكين يلعق يده بحركة رتيبة كانه يعتذر اليه .

ونادى العم هنرى بصوت جاف : « لوك ! هات هذا الكلب »

وعندما قاد لوك « الكلب » الى الشرفة تنهد العم هنرى وهو يقول : « شكرا يالوك » ثم أخرج سيجارا ضخما فأشعله ،ووضع يديه المكتنزتين الثقيلتين على فخذيه ، وأخذ يهز مقعده دون أن يحول نظره عن الكلب ... ولا شك أنه كان يعد قرارا هاما بشأنه .

وسأله لوك فى قلق : « ماذا تريد ياعم هنرى ؟ »

فقال : « ان هذا الكلب لم يعد يرى شيئا قط »

فأجاب لوك بسرعة ولهفة : «حقيقة لم يكن بوسعه أن يرى لأن عينه العوراء كانت ناحية المقعد ... هذا كل ما فى الأمر ياعم هنرى ! »

واضاف العم هنرى دون أن يكترث لاجابته ! « وقد ذهبت أسنانه أيضا» ثم التفت ناحية الأرجوحة وقال : توقفى لحظة من فضلك عن الاهتزاز يا هيلين » فلما نهضت ووقفت بجانبه تابع حديثه قائلا :

« كنت أفكر فى امر هذا الكلب العجوز منذ حين يا هيلين ... انه ليس على وشك العمى وحسب ، بل انك لتلاحظين انه لا يكاد ينبح »

« حقيقة ياهنرى ، انه لا يفعل »

« وهو لا يصلح الآن حتى لمجرد الحراسة »

« انه عجوز مسكين ... اليس كذلك ؟ »

« وهو لا يصلح كذلك للصيد ، كما انه يأكل كثيرا ، ولذ اعتقد ... »
« انه يأكل كما كان يأكل دائما ياهنرى !! »

« الحقيقة الواضحة هى أن هذا الكلب العجوز لا يستحق الاحتفاظ به اكثر من ذلك ، وقد حان الوقت لكى نتخلص منه »

« ولكن طريقة التخلص من الكلاب صعبة جدا يا هنرى »

« لقد كنت أفكر فى طريقة ما منذ حين ... ان بعض الناس يرون ان خير طريقة للتخلص من الكلاب هى رميهم بالرصاص ، غير أن بندقيتى عاطلة من الرصاص منذ اكثر من عام واستخدام السم طريقة قاسية بالنسبة للكلب ، وقد يكون اغراقه فى النهر أيسر طريقة ....اننى سأتحدث فى هذا الشأن مع عمال الطاحونه لكى يقوموا هم بهذه المهمة »

وصاح لوك وقد أحاط عنق الكلب بذراعيه : « ان دان كلب مدهش ياعم هنرى ! وأنت لا تدرك مقدار ما فيه من وفاء ورقة وذكاء ! »

وأجاب العم هنرى بهدوء : « لقد اصبح عجوزا جدا يا بنى ، وقد حان الوقت للتخلص من أى كلب عجوز .. يجب أن يكون موقفنا منه واقعيا ، وسأحضر لك جروا يابنى ... كلبا لطيفا يستحق الرعاية ...جروا يكبر معك »

وصاح لوك وهو يشيح بوجهه : « لا أريد جروا »

وبينما كان لوك يحيط الكلب بذراعيه ، كان الكلب ينبح ويلعق بلسانه الأحمر عنق لوك . أما العمة هيلين فحين تطلعت الى وجه زوجها اشارت عليه بالصمت فلا يتابع حديثه أمام الصبى وقالت له !

« ان كلبا عجوزا كهذا من عادته ان يلوذ بغابة أو حرج من الأحراج حيث يجد هناك مكانا يموت فيه حين تقترب نهايته ، أليس الأمر كذلك يا هنرى؟»

فأجابها بسرعة : « حقيقة ، حقيقة ... لقد ظننت انه فعل ذلك حين غاب عن المنزل منذ أيام » ثم تنهد وبدأ عليه كأنه نسى كل شىء عن الكلب .

ولكن لوك اصيب بهلع شديد لأنه يعرف من هو عمه ، وأى طراز هو من الناس . لقد عرف أن عمه اذا ما قرر أن الكلب غير ذى نفع فانه لن يتراجع أمام اى اعتبار انسانى او عاطفى... وتأكد انه لن يستطيع ان يصرف عمه عن عزمة وأن غاية ما يستطيعه هو ان يبعد الكلب عن عمه ويحتفظ به فى مكان بعيد عن المنزل حيث يقدم له الطعام ويرعاه .

وفى ظهر اليوم التالى رأى لوك عمه يسير نحو المنزل عائدا من الطاحونة وبرفقته « سام كارتر » أحد العمال الذين يستخدمهم فى نشر الخشب ، وهو رجل أبله قبيح الخلقة ، محنى الظهر يناهز الستين من عمره ... ذو لحية رمادية ويرتدى لباس العمال الأزرق ، وهو قلما يتحدث الى أحد من الناس . وقد لا حظ لوك وهو يشاهدهما من شرفة المنزل أن عمه

قدم لسام سيجارا فتناوله ودسه فى جيبه ، ولم يحدث من قبل أن قدم العم هنرى سيجارا لسام فى اى وقت من قبل ، أو حتى يعيره أقل اهتمام .

وبعد تناول طعام الغذاء طلب العم هنرى الى لوك فى شىء من التراخى وعدم الاكتراث أن يركب دراجته ويذهب الى المدينة لشراء بعض التبغ فقال لوك :

« سآخذ دان معى »

واجاب العم هنرى : « خير لك الا تفعل ،لأن هذا سيؤخرك بضع ساعات وانا أحوج ما أكون الى هذا التبغ »

وكانت لهجة العم هنرى غاية فى البساطة بحيث حاول الا يشك فى أنه يرغب فى ابعاده عن المنزل وحسب ، هذا الى أنه لم يملك الا تنفيذ رغبة عمه ، وهو الذى لم يجسر قط على معارضته فى اى شأن من الشئون . ولكنه حين ركب دراجته وانطلق الى المدينة ، سار بمحاذاة المجرى وقطع ربع ميل أو نحو ذلك وهو لا يزال يفكر فى ذلك السيجار الكبير الذى أعطاه عمه « لسام كارتر » .

وانحدر مع الطريق على مهل متعبا مهموما ، ثم ترجل من على دراجته ووقف هناك يفكر فى حيرة وارتباك تحت أشعة الشمس المحرقة ... ان كارتر رجل عجوز لاضمير له ،ولايمكن أن يشعر بعطف على الكلب . وعندما ساورته هذه الأفكار لم يستطع أن يتقدم خطوة قبل أن يتأكد من أن الكلب سوف لا يناله سوء أثناء غيبته، وكان يرى منزله بسهولة هناك على الجانب الآخر من الحقول .

وترك دراجته فى حفرة ، وأخذ يعبر الحقل تكى يقترب من المنزل بحيث يستطيع « دان » أن يسمع صفيره ، ووقف على مسافة خمسين خطوة من المنزل وأخذ يصفر وينتظر ، ولكن لم يبد هناك ما يدل على وجود الكلب... قد يكون نائما أمام البيت أو بالقرب من الطاحون فلم يسمع صفارته الخافتة !! وظل لوك بضع دقائق لا يعرف ماذا يفعل ، ثم قرر الرجوع الى الطريق ،حيث ركب دراجته وسار الى المكان الذى يلتقى فيه النهر بهذا الطريق ، فهناك يستطيع أن يترك دراجته بين الأشجار ويتقدم صوب المنزل والطاحون دون أن يراه أحد .

وسار مع النهر نحو مائة ياردة ، ووصل الى المكان الذى ينحنى فيه النهر انحناءة شديدة أمام المنزل ، فأخذ قلبه يدق دقات شديدة متلاحقة وشعر كأن ساقيه لا تقويان على حمله ... لقد رأى الزورق يتجه الى أعمق مكان فى المجرى ، ورأى سام كارتر والى جانبه الكلب التعس .

كان الرجل العجوز ذو اللحية واللباس الأزرق يدخن السيجار ويمسك بطرف حبل سميك التف طرفه الآخر بعنق الكلب الذى اقعى بجانبه فى دعة وود يلعق بلسانه الأحمر اليد التى تمسك بالحبل .... رأى ذلك كله كأنه حلم مجنون .ولكنه حين صاح بأعلى صوته : « دان .. دان.. تعال » قفز الكلب مسرعا الى الماء ، وعندئذ ترك سام كارتر الحبل من يده اليسرى ، وكان فى نهاية الحبل حجر

ضخم ألقاه سام الى الماء لساعته ... وصاح لوك فى صوت محموم :

« بالله لا تفعل ، لا تفعل » ولكن صيحاته وصلت بعد فوات الوقت... وحملق كارتر بغباء فى الجانب الآخر من النهر ثم أحنى رأسه وأعمل مجدافيه بسرعةفى الماء صوب الشاطىء.

كان لوك يراقب الكلب وهو يقفز الى الماء ،ويرى ساقيه الخلفيتين وهما ترفسان الماء رفسات متتالية يائسة فأخذ ينتحب فى مرارة ويهتز جسده اهتزازا شديدا كأن شطرا هاما من حياته الخاصة فيما بين منزله والطاحون قد تمزق وأفلت منه الى الأبد ... ولأمر ما لايدرى كنهه كان يدور فى عقله أثناء مراقبته للكلب... كانت يده تبحث دون وعى فى جيب معطفه عن مديته التى يحملها اينما ذهب ... ثم يفتح سلاحها ، ويسرع بخلع سترته ويرمى حذاءه وهو يتمتم ويدعو الله أن يرحل سام كارتر عن هذا المكان بسرعة .

واستجابت السماء لدعائه البرىء فبلغعامل الطاحونة البغيض الىالشاطىء فى نحو دقيقة ثم غاب فى منحنى النهر بالقرب من الطاحون اذ كان يتوجس من تتبع الصبى له ،ولكن عينى الصبى لم تغيبا لحظة عن البقعة التى اختفى فيها الكلب ، فأسرع بالقاء نفسه فى الماء ، وكانت أشعة الشمس تنسكب على جسده النحيل ، وكانت عيناه تشعان بالخوف والقلق وهو يغوص الى الأعماق ، وسرعان ما اعتاد الرؤية تحت الماء الأزرق وبين الصخور الصفراء وشعر برئتيه تضيقان بالتنفس وتؤلمانه ، ثم رأى ظل كلبه يطفو فى نهاية امتداد الحبل ، فهجم بمديته وقطع الحبل ، ورفع الكلب بذراعيه المكدودتين وأخذ يدفعه أمامه حتى بلغ الشاطىء ... وكم كانت حيرته وفجيعته حين وجده لا يبدى حراكا.. كان كتلة جامدة . وهنا رأى أن يقوم بدور رجال الانقاذ فسحب الكلب الى منبسط من الأرض فأفرغ الماء من جوفه وعالجه بالتنفس الصناعى مدة طويلة حتى تحركت عيناه ودبت فيه الحياة .

وناداه لوك بصوت رقيق مستعطفا: «هيا ، هيا ياصديقى العجوز» وتحرك الكلب ، وقفز قلب لوك فى صدره من شدة الفرح وأخذ يتمتم : « انك لاتستطيع حتى أن تموت يادان ! لاتستطيع ! لا تستطيع ... وانا لا استطيع أن اتركك تموت ياصديقى» وظل لوك يفرغ الماء من جوفه ويعاونه بالتنفس الصناعى حتى عاد الكلب الى حالته الطبيعية ،فاخذ يتمتم فى حبور: « انك حى يادان ... هيا بنا يا صديقى »

وسعل « دان » فجاة وحرك رأسه، وفتح عينه العنبرية وتبادل معصاحبه النظرات ، ثم تمطى عدة مرات ، واستطاع فىالنهاية أن ينهض فىتكاسل ويهتز هزة عنيفة لينفض الماء عن جسده ، ثم التفت الى لوك وأخرج لسانه الأحمر وأخذ يلعق وجهه ببطء .

وقال له لوك : « ارقد يادان » .

ورقد لوك بجوار الكلب ، وأغمض عينيه ودفن رأسه فىفراء الكلب المبلل، وقد شعر بآلام شديدة فى ذراعيه

وساقيه بعد أن أنقذ صديقه ، ثم قال له بصوت رقيق وهو ينهض لاحضار ملابسه التى تركها على الشاطىء : « يجب أن تبقى هنا » وعاد لوك بملابسه فارتداها وهو يتمتم : « أظن من الخير الابتعاد عن هذا المكان ، انهض الآن يا صديقى لننصرف » وسار مع الكلب موغلا فى الحشائش الكثيفة الطويلة حتى أصبح على مسافة ثمانين ياردة من المكان الذى خلع فيه ملابسه ،حيث قبعا معا يتمازحان ، ولكنه لم يلبث طويلا حتى سمع صوت العمة هيلين تنادى : « لوك ، لوك ، تعال يالوك »

وهمس لوك قائلا : « لا تتحرك يادان » ومرت لحظة قصيرة ، ثم سمع العم هنرى ينادى : « لوك ، لوك » ثم انحدر الى الممر ، وكان لوك يراه بسهولة بجسمه الضخم وهو يضع يديه فى خصره يمينا ويسارا ، ثم لا يلبث أن يرجع أدراجه الى المنزل . وبينما كان لوك يرقب أشعة الشمس المنعكسة على ظهر عمه ، انقلبت الطمأنينة التى شعر بها حين أصبح الكلب فى حوزته فتركته آمنا الى نوع من اليأس العميق اذ أدرك ساعتئذ أن عمه وان صفح عنه لانقاذه الكلب من الغرق فانه لن يغفر له احباط الخطة التى رسمها ، ولا بد سيفكر فى طريقة أخرى يتخلص بها من الكلب فى يوم قريب ، كما يتخلص دائما من أى شىء لا يرى فيه فائدة او يكلفه بعض المال . وحين استلقى على الأرض وأخذ يراقب السحب التى تتحرك بطيئة من فوقه انتابه الخوف ، فهو لا يستطيع العودة الى المنزل ولا يستطيع ترك الكلب فى الغابة دون أن يربطه الى شجرة ، والا فلا بد أن يلحق به مسرعا .

وهمس فى حزن وأسىء : « لست أجد مكانا نأوى اليه يادان ، حتى لو تسكعنا فى الطرقات ، فسيرانا الناس»

ولكن « دان » كان مهتما فى تلك اللحظة بمراقبة فراشة تحوم فوقهما. ورفع لوك راسه ، وتطلع الى المنزل من خلال الاشجار ، ثم التفت الى الناحية الأخرى حيث البحيرة الفسيحة الزرقاء ، ثم عاد الى رفقته الأولى وهو يزفر حيرة وكمدا . وظل كذلك عدة ساعات حتى توقفت الطاحونه عن الضجيج وخمدت أصوات الآلات والعمال ، وحتى انحدر قرص الشمس الى الغروب .

واخيرا قال لوك : « حسن ، لن تستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك ، ولابد لنا من الابتعاد عن هذا المكان قدر ما نستطيع » ثم اخذ يزحف بين الحشائش مبتعدا عن المنزل حتى أصبح بمنأى عن العيون نهض وأخذ يجرى عبر الحقل حتى بلغ الطريق المؤدى الى المدينة .

وكان الكلب أثناء الطريق بين الفينة والفينة مندهشا لسير صاحبه فى هذا الطريق يجر قدميه من التعب والاعياء . وكان لوك أراد أن يشرح له الموقف فتمتم قائلا : « اننى فى حيرة يادان ، ويبدو اننى لم أوفق بعد الى مكان آمن أضعك فيه » .

عندما بلغ لوك منزل المستر كمب رآه جالسا فى الشرفة فتوقف عن السير ، وتمنى لو ان مستر كمب العجوز

استضافه مع كلبه ليساعداه فى رعاية بقراته الأربع وحراستها فى المساء . واخذ يتطلع فى وجه الرجل العجوز الجالس فى الشرفة ليتاكد انه لم يخطىء فى معرفه الرجل ، ثم قال فى لهجة مضطربة : «ان من لا يعرف قدرك يادان لابد أن يكون مصابا بالعمى والصمم .. هيا بنا يادان » ثم فتح باب الحديقة بكل ما أوتى من شجاعة ، ولكنه سرعان ما شعر بالخجل .

وناداه مستر كمب من أعلى الشرفة: « مرحبا يابنى ، ماذا بك ؟ » وكان مستر كمب رجلا نحيلا صلب العود يرتدى قميصا متعدد الألوان ، أشيب الشارب مشعث الشعر ، مغضن البشرة ، ولكن عينيه تفيضان طيبة ومودة .

وسأله لوك حين اقترب من مكانه بالشرفة : « هل استطيع أن اتحدث اليك قليلا يامستر كمب ؟ »

« نعم ، تحدث كما تريد يابنى »

« أريد أن اتحدث اليك بشأن دان ، انه كلب عظيم ! واعتقد أنك تعرف عنه بقدر ما أعرف انا ، فهل تستطيع ان تحتفظ لى به فى منزلك ؟ »

« ولماذا أحتفظ بدان هنا يابنى ؟ »

فقال لوك وقد عراه الاضطراب وتعثرت الكلمات على لسانه :

«حسن ان عمى لا يريد الاحتفاظ بدان فى منزله بعد الآن ، ويقول انه أصبح عجوزا » ثم أخذ يرتجف وهو يروى بقية القصة ..

وقال مستر كمب فى بطء : « لقد فهمت ، فهمت كل شىء» ثم نهض واتجه ناحية الكلب ثم جلس وأخذ يربت رأسه وهو يقول : « لا شك ان دان أصبح مسنا يابنى » ثم اضاف : « ولابد أن تتخلص ان آجلا أم عاجلا من كلب عجوز كهذا، وعمك هنرى يدرك هذه الحقيقة. فهو لا يستحق الاحتفاظ به بعد الآن »

« ولكنه لا يأكل كثيرا يامستر كمب .. انه يتناول وجبة واحدة فقط طوال النهار »

فقال مستر كنت : « لا أود أن تظن فى عمك يالوك القسوة وبلادة الشعور ، بل انه رجل لطيف .. ولكن ربما يكون رجلا عمليا الى حد ما » ..

ووافقه لوك على رأيه ، ولكنه كان فى الواقع ينتظر ان تكشف عينا الرجل العجوز عن شىء من نواياه. وتابع الرجل حديثه قائلا :

« يمكنك أن تقدم له اقتراحا عمليا»

« اننى ، اننى لا أعرف ماذا تعنى يا سيدى »

« فقال مستر كمب وهو يبتسم : « اقتراحا شبيها بالاقتراح الذى جئت تعرضه على الآن ، وهو حراسة بقراتى اثناء نزهتها المسائية ، فان فعلت فانك لن تحتاج الى أن أذهب اليه معك ، ولتفترض الآن اننى سأمنحك خمسة وسبعين سنتا فى الأسبوع ، فهل ستصحب بقراتى الى النزهة كل مساء ؟ »

« لاشك فى هذا يامستر كمب ، اننى راغب فى القيام بهذا العمل فى كافة الظروف »

« حسن يابنى ، انه عمل شاق ، وسأرشدك الى ما يجب عمله .. ارجع الى عمك وقل له قبل أن ينفجر بتعنيفك انك جئت اليه تحمل اقتراحا « عمليا » قل له ذلك كرجل ناضج ، قل له انك مستعد لدفع خمسة وسبعين سنتا فى الأسبوع فى مقابل الاحتفاظ بالكلب»

فقال لوك فى ضجر : « ولكن عمى ليس بحاجة الى خمسة وسبعين سنتا يا مستر كمب »

ووافقه مستر كنت على ذلك قائلا: « انه ليس بحاجة الى هذا المبلغ بطبيعة الحال ، ولكن هذا لا يعدو أن يكون مبدأ وحسب » ثم أضاف : « كن واثقا من هذا يابنى ، وتذكر انه لا يحقد على الكلب فاذهب اليه ، واخبرنى بالنتيجة التى تصل اليها » ثم قال وعلى وجهه ابتسامة هادئة : « اننى اعتقد ـ وفق معلوماتى عن عمك ـ انك ستنجح »

فقال لوك : « سأحاول ، واشكرك كثيرا » لم يكن لوك يؤمل خيرا فى مهمته وان كان يعتقد أن مستر كمب رجل مسن مجرب ولا يمكن بحال ان يخدعه. غير انه لم يصدق فى نفس الوقت أن خمسة وسبعين سنتا فى الأسبوع تكفى لاقناع عمه بالاحتفاظ بكلبه العزيز . ونادى لوك كلبه فى بطء واتجه الى المنزل وقد خامره الخوف واليأس .

وبينما كانا يسيران فى الممر سمع زوجة عمه تصيح من نافذة مفتوحة : « هنرى ، هنرى تعال بحق السماء . لقد عاد لوك بالكلب »

ووقف لوك على مسافة عشر ياردات من الشرفة وانتظر فى شىء من الاضطراب خروج عمه من باب المنزل . وخرج العم هنرى مندفعا ، ولكنه حين رأى الكلب مع لوك تسمر فى مكانه وشحب وجهه وفغر فاه مندهشا ، ثم قال فى صوت خفيض :

« لوك .. لقد كان حول عنق هذا الكلب حجر ثقيل !! »

وقال لوك : « لقد اخرجته من المجرى »

وقال العم هنرى وقد ذهب عنه شحوب لونه تدريجا : « آه ، آه !!! لقد اخرجته ، اليس كذلك ؟ » .. ما كان ينبغى أن تفعل هذا ، فانت تعلم اننى طلبت من سام كارتر أن يتخلص من الكلب »

وحاول لوك الا يثير عمه ، وقد استعاد شجاعته عندما ظهرت العمة هيلين ووقفت بجانب زوجها وقد بدا فى عينيها كثير من العطف والرقة ، فقال : « امنحنى دقيقة واحدة فقط ، لأننى أريد أن اعرض عليك حلا عمليا يا عم هنرى »

فسأله العم هنرى وكان لا يزال مغضبا : « ماذا ؟ »

فأجاب لوك بسرعة : « حلا عمليا .. فانا اعرف أن دان غير جدير بالاحتفاظ به الآن ، وانه لايساوى شيئا بالنسبة لأحد سواى انا فقط ، ولذا فاننى سأنقدك خمسة وسبعين سنتا كل اسبوع نظير الاحتفاظ به »

فسأله العم هنرى : « ماذا تقول يالوك ؟ ومن أين لك الخمسة والسبعين سنتا هذه ؟ »

« سأذهب كل ليلة لأعود ببقرات المستر كمب من الحقل »

وقالت العمة هيلين مستعطفة : « بحق السماء ياهنرى دعه يحتفظ بالكلب ! » ثم أسرعت بدخول المنزل.

وناداها العم هنرى قائلا : « لا أحب سماع مثل هذا الحديث انه يثيرنا » وكان يرتعد من شدة الانفعال ، واستولى عليه اليأس وبدا كمن انهارت آماله ، وسار نحو مقعده الهزاز فى تراخ وهو يقول : « حسن ، احتفظ بالكلب » ولكنه كان خجلا من اظهار استسلامه ، أو الكشف عن استجابته لنداء العاطفة الانسانية ، وحاول فى يأس أن يسترهذا الشعور بأشياء أخرى كمراعاة الذوق والحرص على تدريب الطفل على الاستمساك بالأهداف العملية فى حياته . وظل يهتز فى مقعده دون اكتراث ثم ابتسم فى النهاية وقال ببطء : « اننى أميل يا لوك الى الأخذ باقتراحك » .

« شكرا ياعم هنرى »

« لقد وافقت على اقتراحك لأننى واثق من أنك ستتعلم شيئا جديدا مما حدث »

« حسن ، ياعم هنرى »

« سوف تعرف ان الاحتفاظ بأشياء تافهة بكبد أذكى الناس كثيرا مما كسبوه بجهدهم وعرقهم »

« اننى لا اهتم بذلك ياعمى »

« حسن ، هذا شىء يجب أن تدركه ، ولابد أن تدركه فى يوم ما ، لأنك لاشك تحمل بالوراثه النزعة العملية التى أحب أن أجدها فى كل صبى ... لا بأس ، لا بأس ، يابنى »

قال ذلك ثم ابتسم بارتياح وانصرف الى المنزل .

وهمس لوك وهو يلتفت الى دان : « حسن ، ماذا تعرف عن ذلك يادان؟»

وبينما كان جالسا على سلم الشرفه وكلبه بالقرب منه سمع عمه هنرى يتحدث الى زوجته وشعر بحبور عميق وتهلل وجهه فرحا ، ولكنه . مالبث حبوره هذا أن تحول الى تفكير عميق واعجاب بالمستر كمب الذى استطاع أن يفهم طباع عمه على حقيقتها ، وتمنى أن يصبح فى يوم ما فى مثل حكمة المستر كمب وحصافته وطريقته فى معاملة الناس .. وقال فى نفسه ان بلوغ ذلك ليس بالأمر العسير ، مادام قد استطاع أن يعرف أشيئا كثيرة عن عمه كان والده يريده أن يعرفها

وعندما انحنى على عنق دان يقبله أخذ على نفسه عهدا ان يحتفظ دائما بقدر من المال يستطيع به أن يحتفظ بالأشياء العزيزة الثمينة ، ذات القيمة الحقيقية التى لا يعبأ بها الناس « العمليون » فى هذا العالم المادى .